



لكي لا يسيء أحد تفسير الكلمات فإن كاتب هذا المقال يؤمن بخط أحمر واحد يحוט الحياة الإنسانية، والكرامة الفردية والجماعية لجميع البشر، ولجميع أبناء أي مجتمع، مهما تكن انتماءاتهم أو هوياتهم الأساسية أو الفرعية...

ولكن ما يجري في سوريا، وعلى الهوية السائدة من أبنائها، وتردداته المتعددة على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية أصبح يحمل دلالات عنصرية مقيمة ، يصعب على أي محلل سياسي مهما تكن خلفيته الإنسانية والمدنية ، أن يجد تبريراً أو تسويفاً لها .

لن يصلح الحديث عن التطرف والمتطرفين ليكون ذريعة تسويفية توسيع السياسات والموافق لدول كبرى ، ولمؤسسات دولية ؛ الأصل أنها بلغت من مراحل الرشد الإنساني والحضاري والمدني ما يجعلها أكبر من أن تنحدر إلى مستوى العنصرية الأخلاقية التي تتبع تربيتها فيها .

ففي الوقت الذي أطلقت فيه هذه الدول يد الطاغية السفاح في أديم المجتمع السوري يقتل رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً ، ويدمر عمراناً بلا حسيب ولا رقيب ، وبكل وسائل القتل بما فيها الأسلحة المحرمة دولياً من غازات كيماوية وقنابل عنقودية وفراغية وصواريخ استراتيجية؛ نجد هذا العالم (شديد التحضر) ينتفض غاضباً كلما قيل مُس طرف لأقلية عرقية أو دينية أو مذهبية ولو كان المس أحياناً أكاذيب مدعاة ، أو ملابسات ضرفية ، أو وليد أخطاء عارضة تعودنا دائماً أن نستمع من الذين يخوضون الحروب تسويفها وتمريرها .

ومع كل ما يعتصر قلوبنا من ألم ونحن نشاهد أوابد الحضارة السورية تدمير ، على أيدي زُمر من أهل الجهل والبغى بخلفياتهم المختلفة ومنها المذهبية والطائفية ، نشعر أحياناً بالاشمئذاز أو الاستفزاز حيال من يصدر بياناته يبكي الحجر والطين ، على قيمة الحجر والطين ، ويغفل عن صورة الطفل الصغير عفرها الدم والتراب . أي إنسان هذا الذي ينتصر

للحجر ويستهين بالبشر ؟!

منذ اندلاع هذه الثورة فرفض العالم ، المتحضر ، على ثوارها كما على أبناء الشعب السوري خطوطا حمرا كثيرة . منها ألا تنعم منطقة محررة بالأمن والاستقرار ، وذلك بتمكين بشار الأسد دائما بقصف وتدمير أي شبر من أرض يتم تحريره.

وذلك أولا ليتخوف المواطن السوري من عملية التحرير . وللتقتربن عملية التحرير بعملية التهديد والقتل والترويع .

وثانيا لكي لا يكون للثورة السورية نماذجها المتقدمة في الإدارة والعمارة وإشاعة الإصلاح مقابل ما عاشه الشعب السوري على مدى نصف قرن من أفانين الفساد ..

خطوط حمر كثيرة تأخذ على أيدي الثوار وداعميه ، لا تخفي على المتابع اللبيب . ومع كل خط أحمر ترتسם (لا) دولية كبيرة ، وأمام كل (لا) تُلقى في وجه الثوار (نعم) قاتلة في تمكين بشار الأسد وتعزيز قدراته ، وإطلاق يده ، كل ذلك خارج إطار القانون الدولي ، وخارج إطار قانون الحرب الذي ينظم العلاقة بين المتحاربين .

الروس يسلحون بشار الأسد بلا حدود ، والإيرانيون يدعمنه بلا قيود ، وقرار (المقاتلون الأجانب) الصادر عن مجلس الأمن يشكل خطأ أحمر على مقاتل دون مقاتل وأجنبي دون أجنبي ، فالباكستاني والأفغاني والإيراني والعراقي اللبناني المدعومون من دول ، والمتدربون فيها ، والمسلحون منها ، والمنقادون لها ؛ لم يعودوا حسب طريقة تنفيذ هذا القرار أجانب على الأرض السورية ، بينما المقاتل الأجنبي هو الفرد المستنصر بشخصه الذي أزعجه فيما ظن مشهد الدم والقتل على الأرض السورية فاندفع عفويًا على غير هدى .

يستخدم بشار الأسد الطيران الحربي ضد المدنيين العزل ، فيما يسمى جريمة حرب في القانون الدولي ، ولكن حصول الشعب السوري على مضاد الطيران يدافع به عن نفسه وأطفاله ومدنه وبلداته خط أحمر ..

لقد تشكل التحالف الدولي ، وتحركت أساطيله الجوية من أجل أفراد في المجتمع السوري ، من غير تقليل من قيمة الفرد ، وامتدت مساحات قرى مثل (معلولا) (عين العرب) لتجاوز حدود العالم لأن اليزيديين خط أحمر ، والأكراد خط أحمر ، والمسيحيين خط أحمر ، والعلويين خط أحمر ؛ أما السواد العام من أبناء الشعب السوري فخط أحمر مباح أو مستباح ، خراف للذبح بكل سكين وخنجر . وما زلنا نردد شعارنا المتعالي : الإنسان خط أحمر . حتى لا يدعى علينا مدع أننا نهون من قيمة إنسان دون إنسان . وننتصر لجماعة دون أخرى

ويوم وصل الثوار إلى منطقة كسب على الساحل السوري ، سبقتهم البرقيات سريعة : (الساحل السوري ودساكير آل الأسد خط أحمر ..)

وحين اقترب الثوار من مطار دمشق كان الأمر الدولي الفوقي (دمشق خط أحمر)

ويسكن العالم اليوم عن تهجير سكان الزيداني ، وإبادة سكان دوما والغوطة أجمع ، لتبقى كفريا والفوعة ونبيل خط أحمر ..

وبينما يتغافل العالم عن حصار سكان الغوطة تجويعا لمدة أكثر من عامين ، وتعلل منظماته في عدم إيصال المساعدات لمستحقها من المدنيين ، ولكن قطع الماء عن دمشق ولو لساعات لترويض الوحش القابع هناك خط أحمر ..

كل الخطوط الحمر نافذة على الشعب السوري والثورة السورية من موقع القوة والغطرسة الدولية المتجلبة زورا بالقانون الدولي وبشرعية حقوق الإنسان ؛ بينما تظل يد المجرم طليقة ، وضوء شبيحته في القتل والتدمير دائما أحضر .

كلهم ينادي على القاتل المبير بعد خمس سنوات من الصراع ...
هلا.. وهيا..

ولكن ليس أمامهم وأمامه إلا المصير المحظوم

مركز الشرق العربي

المصادر: